آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية
السنة ٢٢، العدد ١، ربيع و صيف ١٣٤٠ هـ.ق، ١ - ٢٦

الاغتراب المكاني لدى المثقّف في روايات سعد محمد رحيم بعد ٢٠٠٣م

كريم اميرى*

محمدجواد پورعابد**، **ناصر زارع*****، **سيد حيدر فرع شيرازى******

الملخص

يرنو البحث في طرحه إشكالية العلاقة القائمة بين المثقّف والاغتراب إلى نيل إجابات شافية عن كيفية بلورة الشخصيّة المثقّفة في روايات العراقي، سعد محمد رحيم، والتعرّف على نوعيّة الأمكنة التي كابدت الشخصيّات الرئيسة فيها الاغتراب جرّاء الأزمات الناجمة عن الانقلابات، والحروب، والحصار والاحتلال. وتهدف الدراسة وبالإفادة من المنهج الوصفي - التحليلي إلى إماطة اللثام عن بعض مكنونات الأعمال الروائيّة لرحيم في توظيفها ظاهرة الاغتراب، والتركيز على النوع المكاني منه في ثلاث روايات له، وهي ***ترنيمة امرأة.. شفق البحر*** (٢٠١٢م)، و*مقتل بائع الكتب* (٢٠١٦م)، و***فسحة للجنون*** (٢٠١٨م). تعمّد الروائي اختيار شخصيّاته **مثقّفة** كونها الشاهد الواعي على ماضي العراق وحاضره؛ وعليه صاغها **إشكاليّة**، **ومستلبة**،

---

* طالب الدكتوراه فرع اللغة العربية وآدابها، جامعة خليج فارس (بوشهر)، karimamiri@Mehr.pgu.ac.ir
** أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة خليج فارس (بوشهر) (الكاتب المسؤول)،
m.pourabed@ pgu.ac.ir
*** أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة خليج فارس (بوشهر)، naserezare@gmail.com
**** أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة خليج فارس (بوشهر)، Shiraz.he@yahoo.com
تاريخ الوصول: ١٣٩٧/١١/٠٢، تاريخ القبول: ١٣٩٨/٠٣/٠١

Copyright © 2018, IHCS (Institute for Humanities and Cultural Studies). This is an Open Access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International, which permits others to download this work, share it with others and Adapt the material for any purpose

ومسكو**نة** بأوهامها، و**ممثّلة** لجيل بأكمله. المثقّف واجه في كلتا الحقبتين **سلسلة** من الهزائم على الصعيد الاجتماعي والثقافي والسياسي، أرغمته إمّا على التنقّل بين الأ**مكنة** المعادية، وإمّا التنحّي مرميّاً على الهامش؛ فما جنى سوى الفشل في البحث عن الأنا وفقدان البو**صلة**.

الكلمات الرئيسة: الرواية، سعد محمد رحيم، المثقّف، الاغتراب، المكان.

١. المقدّمة

١.١ مسئلة البحث

أفرزت الأزمات **الناجمة** عن الاحتلال الأمريكي سرداً ذا فضاء تسجيلي حافل بشتّى هموم الإنسان/المثقّف العراقي الذي دفع في القرن الماضي **كلفة** الصراعات المتطاحنة بين البعثيين والشيوعيين، ثمّ عايش الحكم الشمولي، فالحروب، فالحصار، واضطرّ إلى الهروب والتنقّل بين الأ**مكنة**، فتجرّع آلام الهجرة، وتبدّدت اتجاهاته الفكريّة؛ واليوم يدفع **الكلفة** نفسها عبر **معايشة الاحتلال** والقتل على الهويّة والاقتتال الطائفي والإرهاب.

في سياق كهذا تصدر الروايات لتعكس المثقّف وهو عالق بين طرفي كمّاشة: الأوّل– ماضٍ متخلّف لم يكن ليتّسع لطموحاته وآماله، و**حافل** بالسجون والدماء والأزمات؛ والثاني – حاضر مسموم ومختنق قد اختنق بكابوس الاحتلال. وفي كلتا الحقبتين وجد نفسه محبطاً موؤود الأحلام، وقد تعرّض نفسيّاً لحالات من الاغتراب رمت به في متاهات/أماكن معادية فبات إمّا معزولاً على الهامش في عقر داره، وإمّا مغترباً خارج موطنه، فتراه حائراً وعاجزاً عن **المواجهة**، ومهشّما يكسر بعضه كالفخّار المترضرض.

تنبّه القاصّ والروائي العراقي، سعد محمد رحيم منذ البداية **لمعضلة** المثقّف، فقام بتسجيل تلك الأزمات وتوثيق تلكما المرارات؛ وعليه أتحف السرد العراقي بمنجز روائي عليه **القيمة** وقد خضّبه **بلغة** سرد **صافية** شاعريّة؛ وقد أتت محاولتنا هذه بهدف الكشف عن إحدى تلك الأزمات وهي **مشكلة** الاغتراب وأسبابه لدى الشخوص في ثلاث روايات من منجز هذا الروائي وقد صدرت بعد **٢٠٠٣**م، إذ يلقانا الاغتراب بمظاهره المتعدّدة، وعلى

درجة كبيرة من **الأهميّة** يتمثّل في سلوك شخصيّات إشكا**ليّة** عاشت وتعيش واقعاً مرّاً داخل العراق وخارجه، وسيركّز البحث على شخصيّات مثقّفة يمثّلها (سامر)، و(كلوديا) في رواية ***ترنيمة** امرأة، شفق البحر* (٢٠١٢م)، و(محمود المرزوق) في **ذائعة** الصيت، *مقتل بائع الكتب* (٢٠١٦م)، و(عامر) في ***فسحة** للجنون* (٢٠١٨م).

كما تحيلنا هذه القراءة النقدية على التطرّق إلى مفهوم المثقّف ودوره وأنماطه وبيان صوره في الرواية العراقية، وبالعودة إلى مفهوم الاغتراب ومظاهره في الرواية العالمية والعراقية، يأخذنا الحديث عن أنماطه عند الكاتب نفسه، غير أنّنا ارتأينا التركيز في العمل على بلورة النوع المكاني منه في النصوص الروائية المختارة، وبناءً على ما قدّمه الناقد الروسي، يوري لوتمان .Y (Lotman) سنذكر ثنائية المغلق، والمفتوح من الأمكنة التي حضرتها الشخصيّات مغتربة. فالقراءة المتفحّصة وملاحظة هذه الثنائية في الرواية، من شأنها أن تغني الدلالات والإيحاءات بنوعية الشخصيّات وخصائصها النفسيّة والثقافية، وبطبيعة الأواصر التي تشدّها إلى بعضها، ومقدار الانفتاح والمواصلة التي تتمتّع بها خيال العالم.

٢.١ أسئلة البحث

تطمح **الدراسة** إلى الإجابة عن **الأسئلة التالية**: كيف تبلورت **شخصيّة** المثقّف في هذه الروايات؟ وفي أيّ **أمكنة** شعرت الشخصيّات **الرئيسة** بالاغتراب؟ وما صور المكابدة عند كلّ من الشخصيّات المغتربة؟ وكإجابة **أوليّة** نفترض أنّ الكاتب جعل الشخصيّات **المثقّفة** غير تقليدية **وممثّلة** لجيل بأكمله، مثلما عبّر عن معاناة الشخصيّات لمظاهر الاغتراب ومكابدة **الأمكنة** في الماضي والحاضر، أي قبل الاحتلال وبعده.

٣.١ خلفية البحث

اهتمّت الدراسات **النقديّة** **بأزمة** الاغتراب عند الشخصيّات **الروائيّة** **عامّة** والمثقّف **خاصّة**؛ فالدا**خليّة** منها تشمل مقالاً واحداً، فقط، وهو لأركان حسين مطيّر، عنوانه «الاغتراب في **الرواية** **العراقيّة** المعاصرة، **دراسة** نقدية في رواية غسق الكراكي أنموذجاً» (٢٠١٤م)؛ خلص

البحث إلى نتائج ثلاث: الأولى– أنّ الشخصيّة (كمال) انقادت للتيه، والثانية– رغبته في الكتابة عن نفسه ولكنّ الموت سارعه. والثالثة– نتيجة وجودية. علماً أنّ (رحيم) أصدر روايته، *غسق الكراكي* في العام ٢٠٠٠م أي قبل الاحتلال؛ لكنّ بحثنا يعنى بروايات رحيم الصادرة بعد الاحتلال، أي بعد عام ٢٠٠٣م، فضلاً عن أنّه لا توجد دراسات أخرى تهتمّ بهذه الظاهرة في أعماله لا قبل هذا التاريخ ولا بعده على الإطلاق.

ومن الدراسات الخارجيّة رسالة الماجستير لميساء نبيل عبدالحميد، عنوانها «الغربة والاغتراب في روايات "غائب طعمة فرمان"»، (٢٠١١م). ومن نتائجها: وضوح ماهيّة وطبيعة المعاناة التي جاشت في نفس (فرمان)، والتي حاول عكسها أو إبرازها في رواياته، واتّضح أنّ (فرمان) قد عانى الاغتراب السياسي، والزماني، والمكاني، والنفسي، والثقافي، ممّا أكسب بعض رواياته أجواءً فنّيّة متميّزة، وتشويقاً خاصّاً. ومن البحوث المحكّمة، مقال لبيداء حازم سعدون عنوانه «الشخصيّة المغتربة في رواية "خراب العاشق" لمحمّد صالح» (٢٠٠٩م)؛ تمّ أثناء البحث الكشف عن بعض الأساليب المتعدّدة، والتقنيات المتنوّعة التي تُرسم من خلالها الشخصيّة الروائيّة[1]. و«الاغتراب في روايات غائب طعمة فرمان، "النخلة والجيران أنموذجا"» (٢٠١٢م)؛ لصالح علي حسين الجُميلي، بحث مستلّ من الفصل الأوّل لرسالة الماجستير للطالبة ميساء نبيل عبدالحميد، آنفة الذكر؛ ومن نتائجه أنّ «النخلة والجيران» تنتهي دون أن تفلح شخصيّاتها، سواء الرئيسة أو الثانويّة، في إيجاد حلّ حاسم يكفل لها الخلاص من دوامة الاغتراب، بل تظلّ كلّ منها تدور مع دوران مسار الدوامة؛ ويُنهي فرمان الرواية نهاية منفرجة، ومفتوحة، وغير محدّدة. ولرواء نعاس محمد مقال عنوانه: «سرديّة المثقّف في رواية "أساتذة الوهم" لعلي بدر» (٢٠١٥م)؛ وقد لخّصت الباحثة جملة من النتائج في محورين؛ الأوّل يتعلّق بطروحات الكاتب داخل الرواية، والثاني يخصّ الشخوص، وطرائق تقديمها، إذ وجدت الشخصيّات المثقّفة مستلبة ومغرّبة ومهزومة. و«شخصيّة المثقّف الماركسيّ في الرواية العراقيّة» لصبا علي كريم المعموريّ (٢٠١٥م)؛ ركّزت المعموري على دور الماركسي المثقّف الذي برزت شخصيّته في الرواية الستينيّة في توعية الشعب خاصّة الطبقة الكادحة سياسيّاً وفكريّاً لمواجهة السلطة

المستبدّة، وامتلاك رؤية ناضجة لما يتظافر والصراعاتِ الدائرة في المجتمع؛ ينبع كلّ هذا من صميم إيمان الفرد الماركسي بضرورة الإصلاح الاجتماعي، وتنوير الأفراد.

وما يميّز هذه الدراسة أنّها المحاولة الأولى التي تتصدّى لظاهرة الاغتراب في الروايات الصادرة لسعد رحيم بعد الاحتلال الأمريكي للعراق ولا يخفى الدور الذي يمثّله هذا الحدث الطارئ والبرهة في تاريخ العراق.

٢. الاغتراب

١.٢ مفهوم الاغتراب

تقول إديث كريزويل[٢]: «إنّه حالة **نفسيّة** اجتماعيّــة تسيطر على الفرد فتجعله غريباً وبعيداً عن واقعه الاجتماعي» (١٩٩٣م: ٢٦٤). والاغتراب ظاهرة ملازمة لتقدّم حياة الإنسان، وتعبّر عن فقدان البوصلة في المجتمع، أو العجز عن التلاؤم مع الواقع، ممّا يؤدّي بالإنسان إلى ترك المحيط أو الانكفاء السلبي **على** الذات.

٢.٢ الاغتراب في الرواية العالميّة

غالباً ما تمثّل الشخصيّات في الروايات المغتربة الإنسان **اللا**منتمي والخائف والقلق والعاجز؛ ولعلّ روايتي، *المسخ* (١٩١٥م) لفرانس كافكا[٣] (F. Kafka). **ورواية**، *روبنسون كروزو* (١٧١٩م) لدانيل ديفو[٤] (Daniel Defo) من أنسب النماذج لموضوعة الاغتراب في **الرواية العالميّة**. أمّا **قصّة** المغترب، (كروزو) فتعتبر من أعظم القصص في تاريخ الأدب الأوربي. وتأتي في الدرجة الثانية بعدهما **رواية**، *صحراء التتار* (١٩٤٠م) لدينو بوتزاتي[٥] (Dino Buzzati)، (١٩٠٦م-١٩٧٢م) بشخصيّتها **المغتربة** (جيوفاني دروجو) الذي جسّد أزمة الإنسان المغترب في كلّ مكان وزمان. وكذلك رواية، *الغريب* (١٩٤٢م) لألبيركامو (Albert Camus)، (١٩١٣م -١٩٦٠م) بشخصيّها **العبثيّة**، (ميرسو)، البطل الغريب البعيد كلّ البعد عن واقعه والعائش في وهم سؤاله (لماذا كلّ هذا؟). **ورواية** *الغثيان*

(١٩٣٨م) لرائد الوجوديّة، جان بول سارتر (١٩٠٥م-١٩٨٠م)؛ ورواية، *الجهل* (٢٠٠٠م) لميلان كونديرا[٦]، والتي تحمل نظرته للاغتراب والحنين للوطن. وكذلك «روايات بلزاك، وزولا، و هيجو، وتولستوي، وديستويفسكي»[٧] (أمعضشو، ٢٠١٥م: ١٢).

٣.٢ الاغتراب في الرواية العربيّة

تواجدت الروايات المغتربة ولكن بشكل طفيف في الماضي؛ فكانت من لبنان، مثلاً، رواية، *خالد* (١٩١١م) لأمين الريحاني، صوّرت مشكلات هجرة العرب إلى الولايات المتحدّة. و*مذكّرات الأرقش* (١٩٤٩م) لشخص يسمّي "الأرقش" في المهجر، وقام بنشرها ميخائيل نُعيمة بعد موت صاحبها.

أمّا تطوّرُ الروايات **المغتربة** فيمكن حصره في ثلاث مراحل: الأولى- يكون فيها بطل الرواية قد حمل كلّ عاداته المحليّة معه إلى بيئته الجديدة في الغربة، أي أنّ انتقاله إلى أوروبا كان انتقالاً جغرافياً فحسب. وتمثّل رواية، *عصفور من الشرق* (١٩٣٨م) لتوفيق الحكيم هذه **المرحلة** خيرَ تمثيل. **والثانية**- يكون فيها البطل قد درس بأوروبا وحصل على شهادة، وعاد إلى بلده دون أن يتمكّن من الانسجام مع بيئته الأولى، وتمثّل هذه المرحلة رواية، *موسم الهجرة إلى الشمال* (١٩٦٦م) للطيّب صالح، و*قنديل أمّ هاشم* (١٩٦٨م) ليحيى حقّي. **والثالثة**- تلك التي يمرّ بها الروائيون المغتربون في الوقت الحاضر، وفيها يدرس أو يعيش البطل الروائي في الغرب، ولكنّه لا يعود، وهكذا عليه أن يتعايش مع البيئة الجديدة. وراحت الروايات المغتربة تترى في السرد العربي، فجاء نجيب محفوظ برائعته، *السّمان والخريف* (١٩٦٢م)، ذات البطل المأزوم، عيسى الدبّاغ. كما وظّف السوري، حيدر حيدر مفهوم الاغتراب بكلّ اقتدار في آخر أعماله، *هجرة السنونو* (٢٠٠٨م)، ذات البطل المهزوم، (هزيم)؛ ومن رمزيّة اسمه عبّرت الرواية عن هزيمة الإنسان والمكان المتكرّر، وهي هجرة اغتراب ممزوجة بالسيرة الذاتية. وحرّك الأردني والروائي "الغريب"، غالب هلسا في *الخماسين* (١٩٧٥م)، و*السؤال* (١٩٧٩م) أغلب شخصيّاته مهزومة تقضي معظم أوقاتها داخل فضاءات مغلقة تتراوح بين الشقّة والسجن. وجاء وائل فيصل القاسم برواية، *الوهم*

(٢٠٠٦م)، فعرض عدّة حالات من الاغتراب الفكري لدى الشباب العربي الذين يدرسون في الدول الأوروبيّة. ومن اللافت أنّ *الوهم* تشبه رواية، *ترنيمة إمرأة.. شفق البحر* لرحيم في كشفها الفرق بين الحياة المختلفة في الغرب والشرق، والنظرة إلى الآخر، والتمسّك بالرأي. وللروايات النسوية نصيب في الاعتناء بثيمة الاغتراب؛ فقد صدرت مجموعة تعالج قضية المرأة في مواجهة الواقع الصعب الذي تعلو فيه سلطة العادات والتقاليد، ما يقودها في كثير من الأحيان إلى الانكفاء على الذّات والشعور بالإحباط والخذلان والاغتراب؛ ومنها: *عبّاد الشمس* (١٩٨٠م)، ومذكّرات امرأة غير واقعية (١٩٨٨م) للفلسطينية، سحر خليفة؛ و*حبل سرّي*[٨] (٢٠١٠م) للسورية، مها حسن. ولكنّ الأهمّ هو عدد من الروايات المعالجة لظاهرة اغتراب في شخصية "المثقّفين"؛ مثل: رواية، *البحث عن وليد مسعود* لجبرا إبراهيم جبرا، والمجتمع المدروس فيها مجتمع أنتلجينسيا، أومجتمع مثقّفين أو مجتمع نخبة؛ وكذلك استطاع جبرا في *السفينة* (١٩٧٠م) أن يدين الواقع العاجز الذي تمثّل في هذه الطبقة، وذلك من خلال جعل ثقافة النخبة المثقّفة من البرجوازيين ثقافة عاجزة في وهمها وزيفها.

٤.٢ الاغتراب في الرواية العراقية

بادئ ذي بدء لم تسجّل الرواية العراقية أيّ تقدّم ملحوظ ضمن المراحل التي تطوّرت من خلالها؛ لكن صارت لها **قفزة نوعيّة** مع ظهور روايات صدرت في المدّة **الزمنيّة** (١٩٥٨-٢٠٠٣م)، أي حتّى الاحتلال الأمريكي، وتحديداً مع **رواية، *خمسة أصوات*** (١٩٦٧م) لغائب **طعمة** فرمان، وإلى جانب فرمان، يعدّ أحمد خلف، وعبد الرزّاق المطلبي من أبرز كتّاب هذه الفترة. أمّا فرمان فيَسِمُ الاغترابُ أكثر رواياته[٩].

وبرز في فترة الاحتلال الأمريكي (٢٠٠٣-٢٠١٤م)، روائ**يون** من أمثال **لطفية** الدليمي ، ووارد بدر السالم، وسعد محمد رحيم الذي جاء بروايته، *ترنيمة امرأة.. شفق البحر* ؛ كما شاركهم آخرون من أمثال صموئيل شمعون[١٠] بروايته، *عراقي في باريس* (٢٠٠٥م)، التي دارت أحداثها حول ما يشعر به المهاجر من إحساس بالغربة وانعدام للأمان. وكذا **الصحفيّة** الكردية، إنعام كجه جي بروايتيها، *الحفيدة الأمريكية* (٢٠٠٨م)،

وطشّاري[11] (٢٠١٣م). ومن اللافت أن صدرت في توقيت واحد، ربّما في أسبوع واحد من العام ٢٠١٦م روايتان هما: *مقتل بائع الكتب* لسعد محمد رحيم، *وفاليوم عشرة* لخضيّر فليّح الزيدي، وقد تشابهتا، إلى حدّ ما، في التطرّق إلى وقائع المدينة المحتلّة: مدينة **بعقوبة في رواية** رحيم، والموصل في **رواية** الزيدي؛ أمّا رحيم فوثّق الجانب التاريخي للمدينة/بعقوبة من خلال بطلها الذي اضطهدته والتي عاد إليها بعد الاحتلال الأمريكي. وأمّا الزيدي فتحدّث عن المسكوت عنه في **المدينة**/الموصل، وهذا يعدّ ظاهرة جديدة في **الرواية العراقيّة** استطاع الزيدي عبرها أن يوثّق أحداث المدينة وصراعاتها بعد الاحتلال الداعشي.

٣. المثقّف

١.٣ صورة المثقّف ودوره في الرواية العراقية

في ما مضى مثّل كلّ من استلهم الكثير من كتاب، *اللامنتمي*[12] (١٩٥٦م) المثقّف المهمّش في أغلب الروايات المغتربة؛ وهناك أكثر من شخصيّة مثقّفة تمثّل تجربته، أي «**تجربة** الفرد الهامشي في المدينة الحديثة» (المحسن، ٢٠١٥م: ١١٤)، والهامشيّة تعني «النزوع إلى **فردانيّة** تؤدّي إلى اغتراب عن **الجماعة**» (نفس المصدر، ١٠٠)، غير أنّ **الفردانيّة** تفيد في تفرّغه للتأمّل والإنتاج المنظّم، إذا توازن وتجنّب التطرّف النفسي والذهني؛ وهذا ما طبع نتاج كلّ من نجيب المانع، ومحمود صبري، ونازك **الملائكة**، ومحمود البريكان، وجواد سليم، ونهاد التكرلي. وتناول غائب في *خمسة أصوات* **أزمة** المثقّف العراقي الذي لم تتناوله سوى بعض القصص السابقة وعلى استحياء. وركّز أحمد خلف في *الخراب الجميل* (١٩٨٠م) على تمثّلات المثقّفين والعلاقات **القهريّة** التي تتعرّض لها هذه الفئة الاجتماعيّة من قبل السلطة؛ وأشار في جلّ كتاباته نحو عذاباتهم. وطرح في *موت الأب* (٢٠٠٢م)، أزمة المثقّف مع السلطة (الأبويّة) الباغية والماكرة، وكانت **رواية** المثقّف التنبئيّة بموت السلطة. وتطرّق في *تسارع الخطى* (٢٠١٤م) إلى **أزمة** مثقّف يمضي مشوار العمر حالماً بتحقيق أحلام ربّما لا تفهمها السلطة، ولا يستسيغها مثقّفوها.

أمّا فترة الاحتلال فاصطنعت السردية العراقية لنفسها ضمن السياقات السوسيولوجيّة والثقافيّة، هويّة محليّة وتناولت أبعاداً ثقافيّة ذات منحىً اجتماعي، فتحرّكت فيها شخصيّة

المثقّف المندحر أو الرافض للأطروحات الرجعيّة والمذهبيّة. وفي هذا السياق حاول الكثير من المثقّفين رسم مشاهد الآثار الكارثيّة التي حلّت بشخصيّة المثقّف العراقي بين جحيم الداخل وتيه الخارج فضلاً عن المكابدات التي سبّبتها آلة القمع السياسي.

وعليه أدرج الكاتب دوره كمثقّف عراقي، ومتتبع لتفاعل الإنسان ضمن صراعات القيم الحادّة، ومندّد بالمثقّف الساكت الرابض على التلّ أو غير المتفاعل مع حاجات الناس أو الذي ما زال يخاف من الشرطي المزروع في النفوس، ومشجّع للمثقّف على استغلال حالة الخوف هذه لكتابة شيء عليه القيمة؛ لأنّ «الخوف.. هو أساس الأدب الغرائبي، وأساس الغرابة» (عبدالحميد، **٢٠١٢م: ٨٨**).

ومع ابتعاد ظلّ الاحتلال المريع نضجت التجربة الروائية عند الكثير من الكتّاب فأصدروا روايات تحكي بارتياح هموم المثقّف العراقي، وخاصّة ذاك الذي يرفض مبدئيّاً الرضوخ للضغوطات السياسيّة والعادات المجتمعيّة البالية؛ روايات مثل: *حكايتي مع رأس مقطوع* (٢٠١١م) لتحسين كرماني؛ **قصّة** أديب ملتزم مقبل على كتابة عمل أدبي صادم عن الواقع الأليم الذي تعيشه بلدته/جلولاء. و*أسفل خاصّ* (٢٠١٢م) لأسعد الهلالي، **قصّة فتاة جميلة** شقراء تهرب بصحبة والدها الشاعر والمدرّس من جور **السلطة** إلى اليمن.

٢.٣ صورة المثقّف عند سعد محمد رحيم

من يتحدّث عنه رحيم هو المثقّف التنويري، ويساري يتعاطى من قبيل العقلانيّة، **والحريّة**، والذّات **الإنسانيّة**، **والعدالة** الاجتماعيّة، والسلام، والتسامح والتقدّم. ويسعى لنزع **هالة** القداسة عن ثقافة أيّ مجتمع وتفكيكها وإرجاعها إلى عناصرها **الأوليّة**[١٣]، و«يتحلّى بروح **مستقلّة محبّة** للاستكشاف والتحرّي وذات **نزعة نقديّة واحتجاجيّة** تشتغل باسم حقوق الروح وحقوق الفكر فقط» (أركون، **١٩٩٣م: ٥**). وصورته عند رحيم تمثّل اللامنتمي، ومن يبحث عن هويّته؛ ومن لا تختلف شخصيّته عن نماذج عديدة نعرفها بصورة **يوميّة**، تماماً كشخصيّة (المرزوق) في *مقتل بائع الكتب*، إذ ظهر جباناً مهزوماً لكنّه كان يظنّ نفسه خادعاً لأصدقائه، ولزمرة من شباب معجبين بهندامه وشخصيّته وأفكاره، بينما هو لا يدري

بأنّه جزء من ورطة جيل كامل مؤمن **بالثوريّة واليساريّة**. كان وغداً لابساً جلباب مثقّف، متقلّباً لا يصمد على فكرته، ولا في مواجهة **عاقبة** أفعاله الصبيانيّة في ضبط شهواته **الجنسيّة**، ومكركراً بسخريّة تحمل نظرة استعلاء إلى المجتمع، ولمحة فوقيّة تجاه الآخرين. وكذا الحال في *ترنيمة امرأة.. شفق البحر*، حيث يحضر المثقّف بكلّ تفاصيله الرومانسيّة، وهو حالم وثوري، وضعيف بقدر ما هو قوي، وصارم في نظرته نحو متغيّرات الحياة.

٣.٣ المثقّف والسلطة

في علاقته مع **السلطة الحاكمة** يمكن أن يكون المثقّف من النمط العضوي، يتحدّى وينقد ويناضل ويصمد ويصارع من أجل تحقيق الحريّة وإحقاق حقوق الإنسان وإبطال الباطل وتقويض دعائم الفساد السياسي. أمّا **السلطة** فيكون موقفها منه غالباً استعمال شتّى الضغوطات **المعنويّة والماديّة**، كالنّفي والاعتقال والتعذيب أو استعمال خطاب اللامبالاة والإقصاء والتهميش والطرد من الوظيفة أو فرض الإقامة الجبريّة وتسييجه بها، تماما كما فعلت مع (عامر) في ***فسحة*** *للجنون*. وعليه يمكن أن نفهم فكرة **حتميّة** الاغتراب في **شخصيّة** المثقّفين في ظلّ السلطات كلّها، ولا سيّما الجائرة منها. كما نستطيع أن نعزو جلّ اغترابهم في **الأمكنة** إلى سلوك **السلطة**، إذ هي المخرّبة للمكان والمخرّبة بالتناظر علاقة الإنسان الذي يسكن المكان بمكانه؛ هذا الانفصال/الاغتراب هو المقدّمة ليفكّر الإنسان بالهجرة والمغادرة، بالبحث عن المنفى.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

٤. أنماط الاغتراب

١.٤ الاغتراب الذاتي

المغترب عن ذاته «يعني ذلك الذي لا يمتلك ذاته» (الشاروني، **١٩٧٩م: ٦٩**). وانفصال الإنسان عن ذاته أقصى ما تصله حالة الاغتراب في سياقات التغيّر الاجتماعي والاقتصادي والتصنيع. أمّا الكاتب في ***ترنيمة.. إمرأة*** *شفق البحر*، فيعيد إنتاج **الشخصيّة المأزومة**،

(سامر) التي تدور عادة في **حلقة** من الانكفاء على الذات، والشعور بالعجز التامّ عن القيام بأيّة مبادرة، لينتشل هذه **الشخصيّة** من مستنقع **الخيبة** والارتكاس، والماضي المشحون بكمّ هائل من الآلام والإحباطات.

٢.٤ الاغتراب الاجتماعي

هو الشعور بعدم التفاعل بين الذات وذوات الآخرين ونقص المودّة **والألفة** معهم وندرة التعاطف والمشاركة وضعف الروابط الاجتماعيّة مع الآخرين يسمّى الاغتراب الاجتماعي؛ «فالمغترب يعيش بين أهله وعشيرته وأقاربه وبين ظهرانيهم، إلّا أنّه رغم ذلك يشعر بالغربة..» (أشكوري، ١٤٣١هـ .ق: ٣١). و«إنّ من أسباب الفصام بين المثقّفين والمجتمع غياب **الرؤية الحضاريّة الشاملة** لدى كثرة المثقّفين» (الدجّاني وآخرون، ١٩٩٥م: ١٥٧). ومن بين مظاهر الغربة في المدونة، وتحديداً، في ***ترنيمة امرأة..*** *شفق البحر*، مشكلة الانفصال التي ظهرت **في المنطقة** منذ الستّينات واستمرت زهاء ربع قرن حتّى منتصف الثمانينات. ومن مظاهر الاغتراب في *مقتل بائع الكتب*، إظهار الشعور الحادّ بـ "الوحدة" الذي يصل بالشخوص إلى الإشفاق **على** أنفسهم ومواساتها، وعند ذاك تبدو **شخصيّة** البطل وحيدة **حزينة مغتربة**: «***أنا أشدّ الناس عزلة في هذه المدينة.. كأنّك تسأل ضفدعة مستوحدة عن أسماك القرش***» (رحيم، ٢٠١٧م: ٥٤).

٣.٤ الاغتراب السياسي

يمكن أن ينعزل المثقّف عن مهامه السياسية ومسؤولياته **نتيجة** لما **تمارسه السلطة الفاشية والشموليّة** بحقّ الإنسان والمكان؛ تسحق الشخص ثمّ تقذفه على الهامش مثل ما رمت بعامر والمرزوق، وتحوّل المكان إلى ما يشبه السجن، بل السجن بعينه. **العزلة** لا تعني المغادرة إلى الخارج فحسب، بل يمكن أن تكون داخل البلد والجلوس في **الهامش**؛ فمثلاً (المرزوق)، صار يعمل خارج السياق لأنّ السياق يتضارب وما يحمله من قيم وأفكار ومبادئ، لذلك كان يعيش فيما يشبه المنفى حتّى وهو في وطنه ومنفي في داخله. إذ إنّه ما عاد يمتلك القدرة

على التأثير في الشارع السياسي. فماضيه يذكّره بحوادث **أليمة** (قطار الموت/المعتقل في براغ/الاعتقال في مطار باريس، والأهم منها سجن النقرة)؛ هذه اللقطات من الاسترجاع تعكس وعي الروائي بتعالق ما هو سياسي بما هو ثقافي، فقطار الموت مثلاً يمثّل صورة **السلطة**، أو أنموذجها لسردنة تاريخها الدامي، **والذي** كان توصيفاً لوجود الشخصيّة/المرزوق ضمن معارضيها: «***كان قرارهم أن نموت.. وقرّرت في دخيلتي أن أحيا، ولا بدّ من أن أحكي عن هذا كلّه في مكان آخر***» (رحيم، ٢٠١٧م: ١٤١)؛ وهكذا هي الحال في ***فسحة** للجنون*، حيث يذكّرنا القاص بجور السلطة **على** (عامر) وكيف أنّها رمت به في السجن وأجهزت عليه بالجنون.

٤.٤ الاغتراب لدى المثقّف

لمدّة من الزمن أنشأ المثقّفون لأنفسهم صورة بدت مقبولة مثّلتهم **طليعة** للمجتمع، ومنحتهم **سلطة** في حدود وظيفتهم. فكان للمثقّف جسوره القائمة مع الناس غير أنّ هذه الجسور شرعت تنهار الواحدة تلو الأخرى مع بدء تبدّل علاقات القوّة في العالم. لم تعد هناك شخصيّات كاريزميّة ذات ثقل ثقافي مثل: (ريجيس دوبريه، وأنطونيو غرامشي، وجان بول سارتر، وألبير كامي، وهربرت ماركوز، وفرانز فانون، وغيرهم)، يمكنهم دعم مكانة المثقّفين في العالم. فبات المثقّفون يكتشفون أنّهم لم يفهموا واقعهم بالشكل الذي كان ينبغي فيه أن يفهم، وأنّ تلك القوى التي استهانوا بها البارحة أصبحت تهزمهم أو تكاد.

٥.٤ الاغتراب الزماني

يؤكّد هنري برجسون (Henri Bergson) على أنّ «الذاكرة هي جوهر وجودنا، فهي امتداد للماضي في الحاضر وصيرورتهما معاً، غير أنّ الحاضر ليس **حصيلة** تراكمات، إنّما هو فعل نوعي وضرب من الابتكار المتجدّد، كأنّ مسار **الرحلة** في الزمن تنويع لنوتة موسيقية واحدة تبني جسورا بين المكان والزمان والماضي والحاضر» (العبدالله، ٢٠١٥م: ١٩٢). مثلاً المشاهد في ***ترنيمة** امرأة.. شفق البحر*، ليست متسلسلة ولكنّها متدا**خلة**؛ وهذا التداخل يأخذ

شكل متاهة **مغلقة**، فمهما ابتعد (سامر) عن مسقط رأسه، عاد إليه من خلال الذكريات؛ كان «***يخوض البحر المتوسط بحثاً عن حلمه القديم الذي يؤمن بقوّة أنّه متعلّق بأهداب بغداد***» (رحيم، ٢٠١٢م: ٢٠٣). ويستغرب الظرف الزمني فيقول: «***كأنّنا في زمن آخر من القرون الوسطى***» (*نفس المصدر*، ٨٦٩). وهذا هو عين الاغتراب الزمني حيث لايجد نفسه منتمياً إلى زمانه المعاش. وكذا حالـة (المرزوق) في *مقتل بائع الكتب*، إذ كانت تؤذيه ذاكرته عن الماضي الدفين السحيق، ويذكّره الواقع بما كان قد لحقه من ويلات في الوطن، حيث كانت أحوال التشيك مشا**بهة** تماماً لما كان في بغداد. وكذلك في باريس أدرك «***أنّ الزمان غير الزمان والحال مختلف...***» (رحيم، ٢٠١٧م: ١٥٧). وفي بعقوبـة بعد عودته من باريس لم يكن يدرك الظرف الراهن، فراح يعرض كتباً في بلاد لم تعد تقرأ؛ فقال له (الرفاعي): «***أنتَ مثل أهل الكهف الذين استيقظوا في زمن آخر ستكتشف أنّ عملتك القديمة لم تعد لها*** *أيّة قيمة..*» (نفس المصدر، ٩٦).

٦.٤ الاغتراب المكاني

تمتلك الشخصيّات أحاسيس متناقضة للمكان، فهي تشعر بالألفة لمكان وبالعداوة لآخر. و«الانتماء إلى المكان هو الذي يحدّد **طبيعة العلاقـة** بالمكان من **ناحيـة الغربـة والألفـة**، فالمكان الأصلي هو المكان المحوري **بالنسـبة للشخصـيّة** إذا تحقّقت فيه مطالبها ورغباتها، ووجدت فيه الجانب الحيوي، وفي حالة افتقار هذا الجانب تبحث **الشخصـيّة** عنه في مكان آخر، ومن ثمّ يحصل الانفصال عن المكان المركزي والاتصال بالمحيط» (يقطين، ١٩٩٧م: ٩٢). تتحدّث كحلوش عن تأثير المكان فتقول: «إنّ معايشة مكان جميل ونقل تجربته يثير في الذهن مباشرة هناءة ذلك المكان، بينما **سلسـلة** الإحباطات التي يعانيها المرء في مكان ما تجعل من هذا الأخير مكاناً عدوانيّاً» (٢٠٠٨م: ٢٧). ونجد خيط الغربة في *مقتل بائع الكتب*، مفتولاً بالهجرة والمنفى السياسي. ولكنّه في ثنائية رحيم (*ترنيمة امرأة .. شفق البحر*، ***وفسحة*** *للجنون*) لاصقاً بحروب الخليج وردّة فعل العقل أو العاطفة عليها، سواءً بالهرب إلى أعماق العالم (الابتعاد) أو مسقط الرأس (الاقتراب والالتحام).

١.٦.٤ الاغتراب المكاني في رواية *ترنيمة امرأة، شفق البحر*

تقوم الرواية على **لعبــة** المكان حيث تقود المصادفة رجلاً وامرأة لأن يلتقيا في المكان، يلتقي (سامر)، البطل بشخصيّتين هما (حنان وكلوديا) مع اختلاف طبيعة كلّ منهما والفارق في الظروف لكلّ لقاء. تعرّف على حنان في شارع يضجّ بحركة السابلة وضجيج وسائط النقل. وتعرّف على كلوديا في عرض البحر؛ «***تعرّفت عليها على ساحل سوسة في تونس. يومها دارت بنــا موجــة عنيفــة، مباغتــة وقرّبتنــا مــن بعضــنا ونحــن فــي عــرض اللجــة***» (رحيم، ٢٠١٢م: ٧). ويُفترض أن يكون هذا اللقاء، بطبيعة شخوصه ومكانه، نقطة تماس بين الشمال/إيطاليا، والجنوب/العراق، أو الغرب والشرق، الثيمة التي تتمحور عليها حبكة الرواية، تلك الموضوعة التي زجّ بها البعض في رواياتهم[١٤].

في الحقيقة الترنيمة رواية جسّدت حلم جيل يبحث عن الخلاص عبر الهجرة، وقد هيّأت وصفاً دقيقاً لـ (سامر) الذي عاش منفيّاً عن أقرب الناس إليه في بيته/مدينته الأولى/ "السعديّة" قبل أن يهاجر إلى ليبيا ليعمل أستاذاً للأدب الإنجليزي في "جامعة طرابلس"، أي أنّه عاش الاغتراب الحقيقي في وطنه وعرف معنى الغربة، فاضطرّ تحت ضغط الحصار الاقتصادي إلى مغادرة العراق، فتحرّك في أكثر من فضاء مكاني يبدأ من العراق، إلى ليبيا، إلى تونس، وهناك يلتقي بكلوديا فتهرّبه إلى إيطاليا، حيث يعبر المتوسّط وينتقل إلى ساحلها الإفريقي، فيجد العالم كلّه في داخله ليكتب روايته. لكنّه يعجز عن كتابة شيء ذي قيمة، إذ كلّ ما استطاع تدوينه لايعدو كونه مجرد نتف وملاحظات مبعثرة ومشوّشة، فثقل الماضي وكوابيسه الفظيعة ظلّت ملازمة له، مسمّمة حياته، وواسمة إيّاها بالعطالة والعجز. ولأنّه لم يتأقلم تماماً مع الجوّ الجديد الغريب عليه قال: «***أبحث دوماً عن مكان آخر، أهرب من مكاني، من نفسي علّني أعثر على الوجه الصريح لنفسي في المكان الآخر***» (نفس المصدر، ٢٦). وكلوديا أيضاً تبحث عن فردوسها المفقود، أو وهمها الذي يساعدها على الحياة، «***وحين تبحث في المكان الخطأ لا تجـد ضـيراً مـن اسـتبداله بمكـان آخـر صـحيح بـديل***» (رحيم، ٢٠١٢م: ١٠). كما نكتشف (خالداً)، الصديق الأقرب إلى سامر، وهو يواجه الموت غرقاً إثر مغامرة سفر غير ناجحة على مقربة من السواحل الأستراليّة. تمّ تشخيص العلّة كما ورد على لسان سامر ملخّصاً حكاية اغترابه وعطالته وموته وجوديّاً عندما قال: «***كنت مصاباً بوسواس العطالة.***

عاطل عن العمل. عاطل عن الحبّ والأمل، عاطل حدّ البلادة. عاطل عن فعل أيّ شيء يمنحني إحساساً بالرحابة والأمان ويعتقني من السجن. السجن فيّ.. في داخلي.. في نفسي.. في عقلي. منفيّ وأنا في بيتي ومدينتي » (نفس المصدر، ٦٠). فكلّما ابتعد سامر عن مسقط رأسه فهو يعود إليه من خلال الذكريات. «***إنّه يخوض البحر المتوسط بحثاً عن حلمه القديم الذي يؤمن بقوّة أنّه متعلّق بأهداب بغداد*** » (نفس المصدر، ٢٠٣). ويستغرب المكان بقوله: «***البيوت كالتراب هلامية بلا ملامح.. وحيث الأبنية قوطيّة.. والشوارع والمدن في أوروبا*** » (نفس المصدر، ١٦٩).

وهذا الجوّ الكوزموبوليتاني (Cosmopolitanism)[١٥] كان تشرّدياً، ويساند الرأي وجود الغجري مع سامر على الشاطئ؛ والغجر رمز للتنقّل والترحّل، واللاوطنيّة، واللاهويّة.

يتحدّث رحيم عن كوابيس بغداد من خلال رحلة استجمام على شواطئ المتوسط في تونس، وأرجاء إيطاليا؛ رحلة لا يمكن تسميتها دليلاً سياحيّاً يوفّر للمتلقّي معالم بارزة في إيطاليا، بل يعيد إلى ذهنه أزمة الإنسان المعاصر بشتّى القيود؛ بعبارة أخرى بدل أن يخترع رحيم تاريخاً خياليّاً لمعرفة مجرّدة، استطاع أن يأخذ القارئ في جولة في أرجاء النفس البشريّة المأزومة وهو يبحث عن إيمان أو يقين يلوذ به[١٦]. وكأنّ الرحلة تشي بغاية الابتعاد ما أمكن إلى أقصى حدّ ممكن من اليابسة باتجاه البحر، فلكلّ طرف من طرفي ثنائية اليابسة/البحر دلالته التي تجعل الفروق بينهما تتجاوز السطح إلى البنى العميقة للتاريخ والثقافة. ويمكن الجزم أنّ الروائي يتكلّم عن الإنسان اللامنتمي الذي يبحث عن الحقيقة بين أماكن رمزيّة تدلّ على مجتمعات ومستويات من الإدراك، لكنّه في النهاية يجد الحقيقة في داخله/أعماق الإنسان، وفي طريقة انتباهه لمعنى المعرفة.

٢.٦.٤ الاغتراب المكاني في رواية *مقتل بائع الكتب*

الرواية تكتنز في داخلها ثيمات متعدّدة مثل ازدواجيّة المثقّف واغترابه حيث تسجّل مسيرة تنقّل الشخصيّة بين الأمكنة معتبرة تنقّله هذا واضطهادَه في مسيرة حياته الشائكة ردَّة فعل لانفراد المكان المتغيّر بالبطولة وكذا هامشيّة الشخصيّة، وتغيير مسار حياتها الخاصّة في الدرجة الأولى، فضلاً عمّا كان يحلم به في خياله الجامح؛ و«في الحياة حين تبحث عن مكان تأوي إليه أو تحتمي فيه تلجأ إلى الخيال الذي يتعاطف مع الكائن الذي يسكن المكان المحمي فيجعله يعيش

تجربة الاحتماء بكلّ تفاصيل الأمان والحماية الدقيقة» (باشلار، ١٩٨٤م: ١٣١). ويستخلص من هجرة المرزوق أنّها كانت في الأصل هجرة معكوسة، فمن المدينة الكبيرة/بغداد إلى الصغيرة/بعقوبة، ومن النهر الأسطورة/دجلة إلى نهري بهرز، وخريسان في الضاحية، إلى المدن الأروبية، وعائداً إلى بعقوبة؛ حركة دائريّة معاكسة لتيّار الحياة بل انتكاسة واضحة. والروائي في *مقتل بائع الكتب* يعيد إنتاج فضاء الاغتراب في مدن المنطقة الغربيّة للعراق ذات الأصول الدينية المتشدّدة بعد الاحتلال.

١.٢.٦.٤ الاغتراب داخل الوطن

المرزوق في بداياته واجه الاعتقال: «***اعتقلوني مرّتين قبل أن أهاجر إلى براغ***» (رحيم، ٢٠١٧م: ١٤٢). واقتيد ليحبس في سجن "قصر النهاية" في بغداد: و«***هناك في المعتقل تعرّض المرزوق لتعذيب شديد***» *(نفس المصدر،* ٩٣. ثمّ نقل إلى سجن "معسكر الرشيد". وبعد شهرين، وتحديداً في شباط ١٩٦٣م، نقل بـ "قطار الموت" إلى سجن "نقرة السلمان"، وما إن ينتقل البطل من مكانه الاعتيادي حتّى يصبح المكان الطارئ معادياً له، فيتمّ الصراع من حيث انسجام البطل وتلائمه مع المكان الجديد؛ يروي (الهادي): «***ضربه شرطيّ ضخم حتّى أدمى فمه... أوسعوه ضرباً.. تركوه في الشمس مربوطاً إلى عمود.. مثل كلب أجرب***» *(نفس المصدر،* ١٠٥. هذه المقاطع السرديّة توحي بعمق المعاناة التي ألـمّت بالشخصيّة لحظة تواجدها في ذلك المكان المغلق/المعادي؛ وتحمّله الضرب يعني صبر الناس/الشخوص، والبلاد/الأمكنة أيّام الظلم والاستبداد. والاغتراب الذي أحاط بالمرزوق هو من تأثير المكان عليه إذ «***سلب منه ثلاثة أشياء: الأوّل – إيمانه الكلّي بالحبّ بعد أن تزوّجت حبيبته غادة. الثاني– ثلاثة أرباع إيمانه بموهبته فنّاناً. الثالث– نصف إيمانه باليسار فكراً وتنظيمات***» (رحيم، ٢٠١٧م: ٩٥).

وأمّا "بعقوبة"، وهي المكان الأوّل، فتصبح عبئاً على الشخصيّة بسبب ظروفها يوم كان المرزوق في عزّ شبابه؛ كان قد سُجن في ستّينات القرن الماضي وسبعيناته، فاضطرّ إلى الانتقال إلى مكان قصيّ. والروائي يأبى إلّا أن يذكّر على لسان الشخصيّة بالأحداث الأليمة التي ألـمّت ببلده وبالواقع المسموم المفروض من قبل المحتلّ على حاضر مشحون بالحقد

والفكر المتطرّف، وقاده إلى مدينته التي آمله أنْ تتحوّل إلى «***حلم ممزّق إلى أشلاء***» (نفس المصدر، ٤٨)؛ ويعني بهذا التمزّق حالة الشعب/الشخوص بعد السقوط. فمن هذه أوصاف كهذه للمكان، يمكن تعرية القضايا المخبّأة عن أعين الناس والمستورة في أذهانهم، قضايا مفادها أنّ الإنسان يتعرّض للخطف والسرقة في وضح النهار، وأنّ المثقّف، على وجه أخصّ، عرضة ليس لسهام التهميش والإقصاء والإبعاد القسري فحسب، بل هدف للقتل المتعمّد. ولمحمود ذكريات مع "بغداد" مردّها الزّمني أيّام الدراسة، يومها حدث انقلاب عسكري، فاعتقل، وأدخل السجن، وابتعد عن المدينة وتزوّجت الخطيبة (غادة) دون أن يعلم بزواجها فصارت الذكريات الجميلة من الماضي، وحلّت المعاداة للمكان.

وزار المرزوق بغداد ذات نهار بعد زوبعة ٢٠٠٣م، وعند عودته وصفها بالموحشة «***سألني كاميران عادل كيف وجدتها؟ [يعني بغداد].. قلت له: تبدو موحشة كسجن صحراوي***» (نفس المصدر، ٥٢). والقطار باعتباره مكاناً متحرّكاً يراه المرزوق معنويّاً أنّه القطار الخطأ الذي ركبه في حياته «***صعدت القطار الخاطئ منذ ثلاثين سنة***» (نفس المصدر، ٩٦)؛ هذه كناية، ولكنّها تعبير مأساوي عن نصف حياة فاشلة؛ وفعلاً ركب قطار الموت الذي أخذه إلى السجن الصحراوي.

والمكتبة كمكان مغلق كان يحسّ البطل فيها بالوحدة؛ ذات يوم داهمها الجنود الأمريكان فقال لكبيرهم: «***أنا أشدّ الناس عزلة في هذه المدينة.. كأنّك تسأل ضفدعة مستوحدة عن أسماك القرش***» (رحيم، ٢٠١٧م: ٥٤). والرواي ما إن دخل المكان حتّى وجد فيه كتباً نوعيّة، مثل «موسم الهجرة إلى الشمال»، و«العراق»، و«الاستشراق جنسيّاً»، وغيرها، كتباً كان يقرأها المرزوق قبيل اغتياله؛ ويبدو أنّ هذه العناوين لم تُذكرْ في سياق الرواية اعتباطاً بل هي تتّسق مع ما كان يمرّ به البلد من ظروف وأجواء، ما يحتّم على المثقّف مراجعة الأمور والمعتقدات السائدة.

٢.٢.٦.٤ الاغتراب عن الوطن

بعد الخروج من سجن النقرة، هرب المرزوق إلى براغ ليجد جوّاً يلائم ما يدور في دخيلته من رؤىً وأفكار؛ قدمها ظنّاً منه أنّها آمنة تحتويه وفكره الماركسي. غادر مكانه غير الآمن

وشعر بأنّه ما عاد يخصّه إلى آخر بانتظار استعادة صورة مكانه الأوّل، وهناك عشق (ناتاشا) الروسيّة، وشكا غربته لها بقوله: «***أنا منفيّ، هارب بجلدي منذ زمن بعيد***» (نفس المصدر، ١٦٨). كان لبراغ الأثر الطيّب والسيّء في نفس الوقت عليه؛ حيث «***سيستعيد إيمانه بالحبّ حين يعشق أمراة روسيّة بيضاء .. وسيحافظ على الربع المتبقّي من إيمانه بموهبته.. وسيخسر النصف الآخر من إيمانه بتنظيمات اليسار***» (نفس المصدر، ٩٥). اعتقلت عشيقته، ناتاشا فعاش حياة القلق والشكّ حتّى لحظة اعتقاله هو الآخر، «***عشتُ جوّاً كافكويّاً بامتياز، جوّ القلق والخوف والشكّ واللايقين***» (نفس المصدر، ١٣١). قال عن اعتقاله: «***اقتادوني شبه عارٍ، معصوب العينين إلى زنزانة باردة***» (نفس المصدر، ١٣١). ثمّ أُفرج عنه بعد ما تعرّض نفسيّاً للإحباط؛ إذ إنّه وجد المكان متغيّراً نتيجة فقدان الفكر اليساري مصداقيّته عبر تجربة الاتّحاد السوفياتي الفاشلة، وأفول نجم الاشتراكيّة في العالم، فكان كلّ ما حصده في المنفى طيف (ناتاشا)، طيف لاينثني عن مضجعه، ذكرى لجرح لايندمل ومرّ السنين. تحطّمت معنوياته؛ لأنّه لم يستطع أن يفعل شيئاً لإنقاذ حبيبته من براثن الموت؛ حادثة أعادت المرزوق إلى أجواء ما تعرّض له في العراق. هنا يجري الروائي نوعاً من التوازي بين ما تعرّض له المرزوق في العراق، وما تعرّضت له عشيقته في براغ، وما تعرّض له الكاتب نفسه في بعقوبة، يوم رحل عنها هو الآخر بجعل المنفى/بغداد داخل البلد نفسه؛ «***صديقي الروائي، سعد محمد رحيم دلّني عليك.. كان لمدّة ستة عشر عاماً في بعقوبة قبل أن يهدم نصف منزله بانفجار عبوة ناسفة في ٢٠٠٦ فغادر المدينة***» (رحيم، ٢٠١٧م: ٩). هذا التوازي يشي بدلالات منها أنّ البلاد أصبحت منافي، وأنّ العالم تسربل بالتهميش والضياع.

وبعد المضايقة هرب إلى فرنسا اللبراليّة الرأسماليّة، الجنّة الواهية على الأرض بعد تبدّد الفكر اليساري وانهيار معسكره؛ لكنّه صدم بواقعها الذي المضاهي لواقع براغ؛ قام الفرنسيّون باحتجازه فور وصوله «***احتجزوني في مطار باريس.. في أوّل مرّة أدخل فيها فرنسا***» (نفس المصدر، ١٤٢). وأثّر المكان عليه إلى درجة زرع في داخله بذور الحسّ بالاغتراب «***كنت أهرب من ذكريات بعقوبة وبراغ إلى سماوات الفنّ.. غير أنّني أخفقت في***

محاولة النسيان، وخفّ شغفي بولوج قصور الثقافة.. وسنة بعد سنة نما فيّ حسّ المنفى؛ الشعور بأنّك فقدت مكانك، وإلى الأبد» (نفس المصدر، ١٨١). وقد بات من الطبيعي أنّ من يكتشف حقيقة وهم كهذا، يلف المكان غريباً، ويشعر شيئاً فشيئاً بدبيب الغربة وهو يتغلغل في دخيلته.

٣.٦.٤ الاغتراب المكاني في رواية «فسحة للجنون»

الملاحظ أنّ نصف العنوان يدلّ على المكان فالفسحة تعني الفضاء، فضاء يتشكّل من وحدات تبدأ بوحدة كليّة الفنون الجميلة حيث كان المثقّف/الأضحية، (عامر)، بطل الرواية طالباً فيها، ثمّ وحدة السجن الذي اعتقل فيه، ووحدة المكان الأليف/المدينة، ووحدة الجبهة /البلدة الحدودية المهجورة (س)/المكان الضدّ. في المجموع هي وحدات تعبّر عن السلوك الجنوني وطرقه الوحشية التي كانت تمارسه السلطة الغرائبية الفاشية بحقّ الإنسان والمثقّف بالدرجة الأولى. كما ترصد الرواية الأثر الذي تركته الحرب على الأرض/المكان، وتفشّي حالة الفقر والجوع في المجتمع، «***لا مطابخ عامرة في البلدة لتحتال القطط على ربّات البيوت وتسرق منهن قطع اللحم المعدّة للطبخ***» (رحيم، ٢٠١٨م: ٥٧)؛ عبارة بإمكانها أن تختصر حجم معاناة عاشها الحيوان قبل الإنسان، جملة تشير إلى نزوح سكان البلدة وخلوّ الحياة في بيوتها بسبب الحرب، وإلى جوع الحيوانات التي لم تعد تجد شيئاً لتأكله.. في هذا التعبير ترى نبرة ساخرة وتصويراً للإنسانيّة في أسفّ حالاتها، حالات تجعل الإنسان والحيوان في متاهة الوجود وترميه بسهم مثلّث: الفقر الاجتماعي، وبراثن الحياة، ومخالب الموت؛ أضف إلى ذلك التكسير والتهشيم، والتهميش، إلى جانب زرع الخوف في الأذهان، وجعل المخبر السريّ داخل البيوت وفي كلّ مكان، بالتجسّس والتنصّت والترصّد والمراقبة من قبل الجاسوس المزهق للنفوس؛ فبدل أن يكون البيت مكاناً للألفة، حسب رأي باشلار، غير أنّ أفراده راحوا يتجسّسون ويتنصّتون على بعضهم، حتّى الزوجة تتنصّت على زوجها وتشي به في العشّ الزوجي وحتّى في الفراش، الصديق يتنصّت ويتجسّس على صديقه وزميله في كلّ مكان. وكذلك الموظّف في محلّ عمله، إلى درجة بات المثل (للحيطان آذان) فيها سائراً وتحقّق؛ واقع مرعب مفزع يقلق حياة الإنسان؛ الإنسان صار يكره حتّى أحلامه خشية

تسجيل فحوى حلمه، صار يكتم الحلم حتّى من أقرب الناس إليه خوفاً من الوشاية، وخشية أن يكون ضحية أساليب البطش الإرهابي والوحشي.

كان عامر قد ارتبط بعلاقة حُبّ ملتهبة بالجنون الرومانسي بزميلته (نهلة)، الطالبة في كلية الآداب قسم الإعلام. كان يرسم لها الحلم الجميل في العشق المجنون، في مستقبل الأحلام الزاهية، ولكنّه صرّح لها بالتيه، وفقدان البوصلة يوم خاطبها في بعض نصوصه الشعرية المدوّنة في دفتره قائلاً: «***أنتِ يانعة. أنتِ عشب، وأنتِ بيت. أنتِ دفء.. وأنا تائه***» (نفس المصدر، ٢٧٦).

عامر، الإنسان الحالم الرومانسي، والمحلّق بجناحي العشق والحلم في إشراقاتهما العريضة، والفنّان والرسام، والشاعر دارت عليه نوائب الزمان، وعصف به تيّارات غرائبية قلبت حياته رأساً على عقب، وسارت به نحو الجنون والتمرّد، فمزّقت حياته إرباً إرباً ساعة تلّقى فيها لطمة من القدر ليجد نفسه في تراجيدية مأساويّة، فبسبب وشاية سخيفة (أنّه شيوعي يساري الهوى)، عوّلت عليها الأجهزة الأمنيّة في الانتقام، سقط صريعاً مثخناً بجراح لاتندمل ومرّ السنين؛ فبعد ممارسة التعذيب بأقسى أساليبها المرعبة والوحشية، انتزعت منه السلطة الغاشمة حياته وانسانيّته بالانتزاع الظالم، وجعلته "هشيماً تذروه الرياح"، مصاباً بالانتهاك والمسخ. تلك الوشاية طالته وهو في حالة السكر، في جلسة في القسم الداخلي مع مجموعة من أصدقائه، يومها كان طالباً في السنة الأخيرة، وفي الأيّام الأخيرة من الامتحانات عبّر عن رأيه وهو يسمع بعض أغاني (أمّ كلثوم). وقع بعد تلك الجلسة في قبضة الأمن؛ «***في الليل، في هزيع ما متأخّر من الليل سحبوه من الزنزانة وهو في الرمق الحرج. قدماه ضعيفتان، نصف أعمى ونصف ميّت، وعطشه حارق.. أجلسوه على كرسيّ خشبيّ في غرفة مبرّدة***» (رحيم، ٢٠١٨م: ١٠١). وجرى عليه بمثلما جرى على المرزوق ليلة جرجر فيها من على فراشه في براغ. وجد عامر نفسه يسمع صوته في آلة التسجيل (المسجّل) في غرفة المحقّق وانهالت عليه الضربات والصدمات الكهربائيّة، وعومل بوحشيّة، بما فيها الاغتصاب الجنسي. حاول أن يدافع عن نفسه، لكن الصاعقة الإرهابيّة وقعت على رأسه، في حفلات التعذيب الوحشي والمرعب، جرّد الجلاوزة منه سرواله ونزعوا منه لباسه الداخلي، وهو في حالة رعب لمّح أحد الجلّادين عن رغبته في التحرّش به جنسيّاً، وأعطاه رئيسه الضوء الأخضر، فنادى

(عامرٌ) مستصرخاً: «***أرجوك سيّدي، سأعترف بما تريد***» (نفس المصدر، ١٢٤). لكن التوسّلات والمحاولات اليائسة في تجنّب جحيم التعذيب المرعب الذي لا يطاق، باءت بالفشل، فنزعوا ثيابه وأجلسوه على (بُطل سفن أب)؛ ولم يكتفوا إلى هذا الحدّ الهمجيّ، وإنّما حقنوه بمصل الجنون، حتّى فقد العقل والذاكرة، وبعد سنة وثلاثة شهور، حين تيقّنوا بأنّه أصبح مجنوناً، أرسلوه إلى مكان معاد آخر، هو (مستشفى المجانين)؛ بقي هناك عدّة شهور ثمّ أطلقوا سراحه. هذه الظروف القاسية التي ولج فيها، جعلته يهرب من الواقع ويتمرّد عليه.

بعد إطلاق سراحه من مستشفى المجانين هرب إلى مكان آخر، إلى بلدة (س) الحدودية. ليمارس طقوسه الجنونيّة المتمرّدة على الواقع، ليجدها فسحة لإزاحة همومه وهواجسه العاصفة من التفكير المضني بالأهوال. لكن في الطرف الآخر أيضاً يصاب النظام بحالة من الجنون، من أجل تدعيم جنون القائد الضرورة، في شنّ حرب غاشمة ضدّ الجارة المسلمة، إيران، وأن يعسكر الحياة الاجتماعية، لتكون محرقة لوقود حرب تسّاقط صواريخها على بلدة (س) الحدوديّة، على بيوتها، ممّا حدى بأهالي البلدة إلى الرحيل والهجرة الجماعية، بترك بيوتهم ومحلّاتهم، «***البلدة في عجلة من أمرها، ترحل بأشيائها وناسها. بأحلامها وأوهامها. بحزنها وحسرتها. بقلقها ورعبها. بما تستطيع أن تحمل وتصطحب في مشهدِ الحرب الكبير.. بما يسمح به الوقت. بما تستدعيه النباهة المثلومة في خضّمِ دويّ القنابل التي تقترب حيناً، وحيناً تبتعد. وبذا، لن يبقى سوى القمامة، وجثّة البلدة الباردة يمثّل بها مخلبُ الحرب***» (رحيم، ٢٠١٨م: ٥)، غير أنّ (عامر)، والذي بدّل اسمه إلى (حكمت) وأهالي البلدة راحوا يطلقون عليه اسم (حكو)، فضّل البقاء في المكان وكان يلحّ بإصرار عنيد. لأنّها مهجورة، لكنّها عامرة بـ (عامر)، والكلاب والحمير والقطط. كان عامر يؤمن أنّ عملية التهجير الجماعية عملية انهزامية. أمّا (نهلة) فكانت تحاول البحث عن حبيبها، (عامر)، الذي عصفت به رياح الدهر وزوبعة الزمان، أترى هل هو ميّتاً أم حيّاً؟ عرفت بعدها عن طريق صديقه الدكتور (راسم)، بأنّهم «***أطلقوا سراحه قبل الحرب بسنتين تقريبا/- مستحيل... إذاً لماذا لم يتصل بي؟/- لأنّه بصراحة مؤلمة، خرج فاقداً ٩٠٪ من الذاكرة، وثلاثة أرباع عقله***» (نفس المصدر، ٢٤٠).

وتسافر (نهلة) إلى بلدة (س) الحدودية بحجّة إجراء تحقيق صحفيّ. وتصاب في الصدمة العنيفة، لحظة يمتثل العشيق بواقعه الغرائبي أمامها، بالحالة المزرية والغريبة، ماتراه أمامها خارج المنطق والعقل، ظهر لها بالخراب الذي أصابه، فراحت تولول: «***يا الله. ماذا فعلوا بك السفلة؟!***» (نفس المصدر، ٢٥٩). ولم تفلح محاولاتها بإقناعه بالرجوع معها، وإصلاح التلف والخراب. وتعود في خيبة حزينة، رفض عرضها، كانت آخر عبارة تسمعها منه «***إرجعي للبيت... إرجعي***» (رحيم، ٢٠١٨م: ٢٧٦). وتعود وهي تدرك حجم الخراب في مختبر أجهزة الأمن الذي يعمل على تدمير وسحق البشر سحقاً عنيفاً.

لقد أكّد الروائي من خلال تطوّر الأحداث ومصير عامر أنّ الجنون هو ردّة فعل لإنكار الماضي؛ كما هو موقف إنساني ضدّ الحرب، وبالضرورة ضدّ النظام الذي يجد في الحلول العسكرية أفضل طريقة للتمويه على فراغه النفسي والوطني.

٥. النتائج

تبلورت صورة المثقّف في ذهن الكاتب على خلفيّة الأحداث التي شهدها العراق، فجعله ممثّلاً لجيل ضمن دراما مأساوية، إذ تكاد شخصيّته تلخّص نمط المثقّف العراقي الذي خذل الواقع أحلامه فانتهى نهاية تراجيدية غريبة.

تمّ اختيار الأماكن الواقعيّة والخياليّة حسب موقعها وهي في الأغلب أماكن معادية؛ فكلّها معتقلات وسجون ومنافي سواءً كانت داخل العراق أم خارجه. ومن خلال الوصف لها، يمكن تعرية القضايا المخبّأة عن أعين الناس والمستورة في أذهانهم، قضايا مفادها أنّ الإنسان يتعرّض للخطف والسرقة في وضح النهار، وأنّ المثقّف ليس عرضة لسهام التهميش والإقصاء والإبعاد القسري فحسب، بل هو هدف حتّى للقتل المتعمّد.

توضح الدراسة أنّ المثقّف دفع كلفة الصراعات الداخليّة في (الماضي) من خلال هروبه بين الأمكنة، وتجرّعه آلام الهجرة، ومن ثمّ إصابته بالإحباط نتيجة وأد أحلامه، وتبدّد اتجاهاته الفكريّة، ومعاصرته الحروب والحصار. واليوم يدفع نفس الكلفة عبر معايشة العنف والاقتتال الطائفي. إذن هو عاجز عن المواجهة، حائر يكسر بعضه كالفخّار، واقع بين طرفي كماشة:

ماض مليء بالسجون والدماء والأزمات، ومتخلّف لايتّسع لطموحاته وآماله ؛ وحاضر موحش ومسموم وملتهب، ومختنق قد اختنق بكابوس يسمّى الاحتلال. وعليه تمّ اختيار الشخصيّات بهدف قراءة هاتين الحقبتين (ماضي العراق وحاضره) ليتّضح بعدها المستقبل؛ وعلينا أن نسأل أنفسنا عمّا سيكون مستقبل العراقيين المخبّأ في المجهول، أهكذا سيكون أحمر دامياً مكبّلاً بأصفاد السجون كالماضي أم متأزّماً كالحاضر.

الهوامش

١. محمد صالح هو أحد الروائيين العراقيين الجدد، وهو من صرّح عن الاغتراب ضمنيّاً في معظم أعماله من خلال الشخصيّات الّتي اختارها، وقد وزّع الكثير من (أناه) عليها، كما تحمل أعماله في ثناياها سيرته الذاتيّة.

٢. باحثة أمريكية تناولت في كتابها، (عصر البنيوية) أعمال ثمانية من أعلام البنيوية في حقول مختلفة، هم: شتراوس والانثربولوجيا، وألتوسير والماركسية، وهنري لوفيفر ضدّ البنيوية، وبول ريكور والهيرمينوطيقا، وآلان تورين والأبنية دون بنيوية، وجاك لاكان والتحليل النفسي، ورولان بارت والبنيوية الأدبية، وميشيل فوكو وبنيات المعرفة. على الرغم من أنّ هؤلاء الأعلام ليسوا جميعاً بنيويين: فمنهم من يرفض صفة البنيوية التي تطلق عليهم مثل آلان تورين، ومنهم من هو ضدّ البنيوية، مثل هنري لوفيفر. وقد درستهم الباحثة على هذا الاعتبار، لتبيّن الجوانب السلبية للبنيوية، مقابل الجوانب الإيجابية التي يمثّلها أعلام البنيوية: شتراوس، وألتوسير، ولاكان، وفوكو، وبارت.

٣. روائي تشيكي.

٤. روائيّ بريطاني.

٥. كاتب إيطالي.

٦. روائي فرنسي من أصل تشيكي.

٧. للمزيد يمكن الرجوع إلى: فيصل درّاج، «الاغتراب في الرواية العربية»، *مجلة الآداب*، ٢٠٠١م، بيروت، السنة ٤٩، العدد ٨/٧.

٨. الرواية دخلت في القائمة الطويلة لجائزة "البوكر" العالمية للرواية العربية لعام ٢٠١١م.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

٩. وهي *خمسة أصوات*، *والنخلة والجيران* (١٩٦٥م)، *والمخاض* (١٩٧٤م)، *وظلال على النافذة* (١٩٧٩م).

١٠. هو صاحب مجلة "بانيبال"(Banipal)؛ أسّسها مع زوجته الكاتبة الريطانية، مرغريت أوبانك عام ١٩٩٨م، وهي مجلة فصلية تعنى بترجمة الأدب العربي إلى الإنجليزية؛كما أنشأ عام ٢٠٠٣م موقع/مجلّة *Kikah كيكا* للأدب العالمي، وكيكا هو لقب أبيه.

١١. الرواية دخلت القائمة القصيرة لجائزة البوكر العربية لعام ٢٠١٤م.

١٢. الكتاب للبريطاني، كولن ويلسون، ترجمه أنيس زكي حسن ١٩٥٨م.

١٣. ينظر: رحيم، *المثقّف الّذي يدسّ أنفه*، غلاف الكتاب.

١٤. لعلّ أقرب هذه الروايات إلى ذاكرتنا رواية، *الدين والعلم والمال* (١٩٠٣م) لفرح أنطون، *وحديث عيسى بن هشام* (١٩١١م) للمويلحي، *وعجائب الزمان في صرح عروس البلدان* (١٩٢٨م) لآكوب جبرائيل، *وعصفور من الشرق*، لتوفيق الحكيم (١٩٣٨م)، وذائعة الصيت، *موسم الهجرة إلى الشمال* (١٩٦٦م) للطيّب صالح، *وقنديل أمّ هاشم* (١٩٦٨م) ليحيى حقّي، *والسابقون واللاحقون* (١٩٧٢م) لسميرة المانع، *وثلاثية شيكاغو* (٢٠٠٨م) للروائي العراقي المغترب، محمود سعيد، وروايات أخرى كتبها رواة من أمثال: عبدالحكيم قاسم، وبهاء طاهر، وفلاح رحيم، وعوّاد علي..إلخ.

١٥. الكوزموبوليتان تعني اللاقومية، والمصطلح استعمله كارل ماركس، وفريدريك أنجلز، ليصفا به حالة الشركات الاحتكارية الّتي ولدت من رحم المنافسة الرأسمالية؛ كما قصدا استعمال هذا التعبير ليكون وصفا أكثر دقّة لحالة الاندماج بين شركات من عدّة جنسيّات، تبحث عن يد عاملة رخيصة ومواد أوليّة وفيرة.

١٦. قد يكون رحيم متأثرا في عمله هذا بما فعله نجيب محفوظ في *ابن فطومة* (١٩٨٣م).

المصادر

أ) الكتب العربية والمترجمة إلى العربية

أركون، محمّد، (١٩٩٣م)، **الفكر الإسلامي، نقد واجتهاد**، تر: هاشم صالح، د.ط، الجزائر: لافوميك/المؤسّسة الوطنية للكتاب.

أمعضشو، فريد، (٢٠١٥م)، **الاغتراب في الشعر الإسلامي المعاصر**، ط١، المغرب: سلسلة منشورات مجلّة اتّحاد كتّاب الإنترنت المغاربة الإلكترونية/شبكة الألوكة.

باشلار، غاستون، (١٩٨٤م)، **جماليات المكان**، تر: غالب هلسا، ط٢، بيروت: المؤسّسة الجامعية.

بدر، علي، (٢٠١١م)، **أساتذة الوهم**، ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

بوتزاتي، دينو، (٢٠٠٢م)، **صحراء التتار**، تر: معن مصطفى الحسون، ط١، دمشق: دار حوران للطباعة والنشر.

حيدر، حيدر، (٢٠٠٨م)، **هجرة السنونو**، ط١، دمشق: ورد للنشر والطباعة والتوزيع.

الدجاني، أحمد صدقي، وآخرون، (١٩٩٥م)، **المثقّف العربي: همومه وعطاؤه**، ط١، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

ديفو، دانيال، (٢٠١٣م)، **روبنسون كروزو**، تر: مروة ماهر الحق، ط١، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

رحيم، سعد محمّد، (٢٠١٢م)، **ترنيمة امرأة.. شفق البحر**، ط١، عمّان: دار فضاءات.

رحيم، سعد محمّد، (٢٠١٨م)، **فسحة للجنون**، ط١، بغداد: دار سطور.

رحيم، سعد محمّد، (٢٠١٦م)، **المثقّف الذي يدسّ أنفه**، ط١، بغداد: دار سطور.

رحيم، سعد محمّد، (٢٠١٧م)، **مقتل بائع الكتب**، ط٢، بغداد: دار سطور.

الريحاني، أمين، (٢٠١٤م)، **زنبقة الغور**، د.ط، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

عبدالحميد، شاكر، (٢٠١٢م)، **الغرابة المفهوم وتجلياته في الأدب**، سلسلة عالم المعرفة (٣٨٤)، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب.

العبدالله، يحيى، (٢٠٠٥م)، **الاغتراب، دراسة تحليلية لشخصيّات الطاهر بن جلون الروائية**، ط١، بيروت: المؤسّسة العربية للدراسات والنشر.

القاسم، وائل فيصل، (٢٠٠٦م)، **الوهم**، ط١، عمّان: دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع.

كحلوش، فتحية، (٢٠٠٨م)، **بلاغة المكان: قراءة في مكانية النصّ الشعري**، ط٢، بيروت: مؤسسة الانتشار العربي.

كريزويل، إديث، (١٩٩٣م)، **عصر البنيوية**، تر: جابر عصفور، ط١، الكويت: دار السعاد الصباح.

المحسن، فاطمة، (٢٠١٥م)، **تمثلات الحداثة في ثقافة العراق**، ط١، بيروت: منشورات الجمل.

يقطين، سعيد، (١٩٩٧م)، **قال الراوي: البنيات الحكائية في السيرة الشعبية**، ط١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

ب) الرسائل والأطاريح

الحربي، رحيم علي جمعة، (٢٠٠٣م)، **المكان ودلالته في الرواية العراقية**، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد.

عبدالحميد، ميساء نبيل، (٢٠١١م)، **الغربة والاغتراب في روايات (غائب طعمة فرمان)**، رسالة الماجستير، كلية التربية، جامعة تكريت.

عكلو، رائد جميل، (٢٠١٦م)، **الشخصيّة المستلبة في الرواية العراقية المعاصرة من ٢٠٠٤ إلى ٢٠١٤**، رسالة الماجستير، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار.

ج) الدوريات

أشكوري، سيد عدنان، «إيحاءات التوحّد في كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام»، **مجلّة آفاق الحضارة الإسلامية**، خريف وشتاء ١٤٣١هـ.ق، عدد ٢، صص ٢١-٤١.

الجميلي، صالح علي حسين، «الاغتراب في روايات غائب طعمة فرمان "النخلة والجيران أنموذجا"»، **مجلة جامعة تكريت**، آذار٢٠١٢م، مجلّد ١٩، عدد ٣، صص ١- ٣٤.

سعدون، بيداء حازم، «الشخصية المغتربة في رواية "خراب العاشق" لمحمّد صالح»، **مجلّة التربية والعلم**، ٢٠٠٩ م، مجلّد ١٦، عدد ٣، صص ٢١١- ٢٢٥.

الشاروني، حبيب، «الاغتراب الذاتي»، **مجلّة عالم الفكر**، أبريل ١٩٧٩م، مجلّد١٠، عدد١، صص ٦٩-٨٢.

مطير، أركان حسين، «الاغتراب في الرواية العراقية المعاصرة دراسة نقدية في رواية غسق الكراكي أنموذجاً»، **مجلّة كلية التربية الأساسية**، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٣م، مجلّد١٩، عدد٨٠، صص ١- ٢٢.

المعموري، صبا علي كريم، «شخصيّة المثقّف الماركسي في الرواية العراقية»، **مجلّة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية**، جامعة بابل، تشرين أوّل ٢٠١٥م، عدد٢٣، صص ٩٩- ١٠٥.